خطب جمادى أول

التبرك (الجزء الثالث)

التوبة

الاطمئنان فى الصلاة

فى الانفاق على الأهل

التبرك

(الجزء الثالث)

الحمد لله الذى فتح لأوليائه طرق الوسائل وأجرى على أيديهم الكريمة أنواع الفضائل، فمن اقتدى بهم اهتدى ومن ضل طريقهم شقى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمدا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه، نبى تنحل به العقد وتنفرج به الكرب وتقضى به الحوائج وتنال به الرغائب ويستسقى الغمام بوجهه الكريم، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آل بيته الغر الميامين ورضى الله تبارك وتعالى عن سائر الصحابة أجمعين والتابعين وتابعى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فيا أحباب رسول الله ﷺ

لقد انتهينا فى الحديث السابق حول التبرك بالحبيب المصطفى ﷺ فى حياته وبعد انتقاله وعن التبرك بالأنبياء، واستكمالا لما سبق سيكون حديثنا اليوم عن التبرك بأولياء الله الصالحين من أمة الحبيب المصطفى صلوات ربى وسلامه عليه، والتبرك بالتقبيل وبالتمسح حتى تُسد كل ثغرة عن كل متأول ومتقول ومفتى فى الدين بغير علم.

فالتبرك بالصالحين وارد فى صحيح السنة النبوية الشريفة، ففيما أخرجه البخارى عن سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى حديث الاستسقاء بسيدنا العباس رضي الله عنه قائلا:

استسقى عمر بن الخطاب عام الرمادة بالعباس بن عبد المطلب فخطب الناس فقال:

يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد، فاقتدوا أيها الناس برسول الله ﷺ فى عمه العباس واتخذوه وسيلة إلى الله، ادع يا عباس، فكان من دعائه رضي الله عنه:

اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بى إليك لمكانى من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث واحفظ اللهم نبيك فى عمه.

فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس، وأقبل الناس على العباس يتمسحون به ويقولون (هنيئا لك يا ساقى الحرمين).

وفى ذلك أنشد عباس بن عتبة ابن أخو العباس أبياتا منها:

بعمى سقى الله الحجاز وأهله عشية يستسقى بشيبته عمر

وكان الحق لسيدنا عمر بن الخطاب بصفته أميرا للمؤمنين أن يؤم الناس مستسقيا لهم، لكنه تأخر عن حقه وقدم سيدنا العباس للاستسقاء تعظيما لسيدنا رسول الله ﷺ وتفخيما لأهله والإشادة بفضل أهل بيته.

وقبل الاستسقاء كان اسم هذا العام (عام الرمادة) لتطاير الرماد من احتباس المطر، وبعد الاستسقاء أطلقوا على سيدنا العباس (ساقى الحرمين).

ويقول المصطفى ﷺ ﴿لولا ما فى البيوت من النساء والذرارى لأمرت بالصلاة فتقام، ثم أنطلق معى رجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة معنا فأحرق عليهم بيوتهم﴾ حتى نساءنا وأولادنا جعل لهم رسول الله ﷺ نصيب من البركة، فبركتهم حالت دون حرق بيوتنا حتى فى إقامة الفريضة، فانظروا إلى مدى أهمية البركة.

وحول التبرك بتقبيل أيدى الصالحين فقد ألف العلامة محمد بن إبراهيم المقرئ كتابا سماه (الرخصة فى تقبيل اليد) وجمع فيه أحاديث عدة، سنذكر منها شئ على سبيل المثال لا الحصر:

فكثيرا كان الصحابة رضوان الله عليهم يقبلون أيدى سيدنا أنس بن مالك لشدة قربه من المصطفى ﷺ لأنه كان يقوم على خدمة الحبيب صلوات ربى وسلامه عليه، فكان سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ لا يدع يد سيدنا أنس ﷺ حتى يقبلها ويقول (يد مست يد رسول الله ﷺ).

وقد فعل سيدنا ثابت مع سيدنا أنس نفس الذى فعله سيدنا عمر معه، فكلما دخل سيدنا ثابت على سيدنا أنس يأخذ بيديه ويقبلهما ويقول (بأبى هاتين اليدين اللتين مستا رسول الله ﷺ) ويقبل عينيه ويقول (بأبى هاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ).[1]

عن عمار بن أبى عمار أن زيد بن ثابت ركب يوما، فأخذ ابن عباس بركابه، فقال: تنح يا ابن عم رسول الله ﷺ، فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا، فقال زيد: أرنى يدك، فأخرج يده، فقبلها، فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ.

وانظروا إلى سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ ماذا فعل مع سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ بعد حروب الردة أخذ يقبل رأسه ويقول: (لولا أنت هلكنا).

وفيما أخرج ابن ماجه فى سننه قال: (عن ابن عمر قال قبلنا يد النبى ﷺ) وعن صفوان بن عسال قال: (أن قوما من اليهود قبلوا يد النبى ﷺ ورجليه)[2].

وعن سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: كنا فى غزوة، فحاص الناس حيصة، قلنا: كيف نلقى النبى ﷺ وقد فررنا، فنزلت ﴿إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ﴾[3] فقلنا: لا. نقدم المدينة فلا يرانا أحد، فقلنا لو قدمنا، فخرج النبى ﷺ من صلاة الفجر، قلنا نحن الفرارون، قال: أنتم العكارون، فقبلنا يده، قال: أنا فئتكم.

وهاهو سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه لا يكتفى بتقبيل يد سيدنا العباس وإنما قبل أقدامه أيضا، ففيما أخرجه البخارى فى الأدب المفرد عن صهيب قال (رأيت عليا يقبل يد العباس ورجليه).[4]

---

[1] ذكره الحافظ ابن حجر فى المطالب العالية وقاله الهيثمى ورواه أبو يعلى وكذا فى مجمع الزوائد والبخارى فى الأدب

[2] ابن ماجه فى سننه باب الرجل يقبل يد الرجل حديث ٣٦٩٤، ٣٦٩٥ ومصنف ابن أبى شيبة

[3] الأنفال ١٦

[4] الأدب المفرد للبخارى وكنز العمال

وقد ذكر ابن عساكر فى تاريخه أن ابن صهيب قال: رأيت عليا يقبل يد العباس ورجله ويقول: يا عم ارض عنى.[٥]

أيها الأحباب .. إذا كان تقبيل يد الوالد فرض على كل مسلم وليس فيه أى انكار من السنة، فمن باب أولى تقبيل يد ذوى القربى لحضرة النبى ﷺ، وانظر معى إلى قول سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ حين قال: لإسلام العباس حين أسلم كان أحب إلى قلبى من إسلام الخطاب وإن أسلم، وسيدنا العباس كما تعلمون عم النبى ﷺ والخطاب أبو سيدنا عمر!!!

ثم ننتقل بكم إلى نوع آخر من التبرك ألا وهو التبرك بتقبيل الآثار والتمسح بها، فقد أورد ابن كثير فى تفسير قوله تعالى ﴿وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[٦] كانت آثار أقدام سيدنا إبراهيم ظاهرة فى الحجر الذى كان يقف عليه ويبنى الكعبة ولم يزل هذا معروفا تعرفه العرب ولهذا قال أبو طالب فى قصيدته اللامية:

وموطئ إبراهيم فى الصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل

وأورد حديثا عن عبد الله بن وهب يقول:

أخبرنى يونس بن زيد عن ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثهم قال: رأيت المقام فيه أصابعه عليه السلام وأخمص قدميه، غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم.

بمعنى أنه من كثرة تمسح الناس بآثار أقدام سيدنا إبراهيم عليه السلام طمست معالم أقدامه الشريفة من على الحجر.

والحبيب المحبوب صلوات ربى وسلامه عليه يقول ﴿مسح الحجر والركن اليمانى يحط الخطايا حطا﴾[٧] فما السر فى الحجر والركن اليمانى الذى بمسحهما يحطان الخطايا عن البشر؟!!

إن الحبيب المصطفى ﷺ لم يأمرنا بتقبيل الآثار فحسب بل فعلها بذاته، فقد أخرج الحاكم فى المستدرك أن النبى ﷺ كان يطوف على راحلته فيضع المحجن[٨] على الحجر ثم يقبل طرف المحجن).[٩]

ومن هنا سن جمهور الفقهاء للطائف أثناء طوافه إن لم يستطع الوصول إلى الحجر الأسعد لتقبيله من شدة الزحام فيكتفى بالإشارة بإصبعه ثم يقبله!!!

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر والحافظ عبد الغنى المقدسى الحنبلى أن رسول الله ﷺ أتى سيدنا بلال فى منامه حينما كان بالشام فى ضيافة سيدنا معاوية وقال له:

أوحشتنا يا بلال، فانتبه سيدنا بلال حزينا وركب راحلته قاصدا المدينة فأتى قبر النبى ﷺ فجعل يبكى ويمرغ وجهه على القبر ويقول (أوحشتنى يا رسول الله).

---

[٥] فيض القدير للمناوى وكنز العمال

[٦] البقرة ١٢٥

[٧] صحيح ابن حبان وجمع الجوامع وتهذيب سنن أبى داود

[٨] عصا منحنية الرأس

[٩] انظر صحيح ابن خزيمة ومسند البزار وسنن البيهقى الكبرى ومسند الإمام الشافعى

وهذا هو الصحابى الجليل أبو أيوب الأنصارى ذهب ذات مرة إلى قبر النبى ﷺ زائرا فقبل القبر ومسح خديه بجنباته فأخذه مروان بن الحكم من رقبته وقال له: أتدرى ماذا تصنع؟ فقال أبو أيوب: جئت رسول الله ﷺ ولم آت الطين ولا اللبن، ثم قال أبا أيوب الأنصارى: لا تحزنوا على الدين إذا وليه أهله بل احزنوا عليه إذا وليه غير أهله.

وهذا هو الذى يحدث فى زماننا أن الدين يتحدث فيه أهله ويتحدث فيه غير أهله، وقد تلاعبت الأهواء بالرؤوس، وأفتى كل واحد منهم بما يمليه عليه هواه وليس بما ترى الشريعة الغراء، ونسوا قوله صلوات ربى وسلامه عليه عن الذى يفتى بغير علم حيث قال عن هؤلاء الفئة ﴿أفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا﴾[١٠].

أو كما قال التائب حبيب الرحمن .. ادعوا الله

الحمد لله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم سبحانه وتعالى لا تأخذه سنة ولا نوم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمدا رسول الله، نبى تنحل به العقد وتنفرج به الكرب، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين وتابعى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فيا أحباب رسول الله ﷺ

لقد ورد فى كتاب تاريخ مكة وكتاب (الوفاء) للحافظ الجوزى:[١١]

أن السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها جاءت قبر النبى ﷺ وأخذت قبضة من ترابه الشريف وجعلته على عينيها وبكت وقالت منشدة:

ماذا على من شم تربة أحمد ألا يشم مدى الزمان غواليا

صبت على على مصائب لو أنها صبت على الأيام عدن لياليا

فلو أن هذا خطأ لما فعلته السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها وهى من؟ وبنت من؟ وأمام محفل من الصحابة الكرام وفيهم سادات الصحابة الأربعة، الخلفاء الراشدين المهديين!!

اللهم تُب علينا لنتوب يارب العالمين، اللهم يارب العالمين اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم لا تحرمنا من بركاتهم يارب العالمين، اللهم متعنا بمشاهدة وجه حبيبك المصطفى النبى الكريم يارب العالمين، والصحبة معه يا أكرم الأكرمين، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات إنك سميع قريب مجيب الدعوات يارب العالمين.

عباد الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ اذكروا الله العظيم يذكركم واستغفروه يغفر لكم وصلوا على حبيبكم يشفع لكم وأقم الصلاة.

---

[١٠] انظر فتح القدير للشوكانى وتاريخ دمشق لابن عساكر وحاشية الطحاوى

[١١] سبل الهدى والرشاد للصالحى

التوبة

الحمد لله الذى أبكى عيون الخائفين، واسع المغفرة الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فسبحانه من إله عظيم، يبسط يده بالليل ليتوب مُسئ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مُسئ الليل، وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وشفيعنا وقرة أعيننا وملاذنا محمدا عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، جعله الله تعالى حظنا من النبيين وجعلنا حظه من الأمم، واختاره وقدمه على جميع الأنبياء والمرسلين، وجعله فاتحا خاتما تندرج الخلائق فى شفاعته وتحت ظله فأرشدهم إلى طريق الحق بقوله وفعله ﷺ .. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد طب القلوب ودوائها وعافية الأبدان وشفائها ونور الأبصار وضيائها وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه ذوى العلم والعدل والعرفان ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فيا أحباب رسول الله ﷺ

يقول الحق سبحانه وتعالى فى محكم التنزيل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[١٢] ويقول معلم البشرية صلوات ربى وسلامه عليه ﴿إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها﴾[١٣].

أحبابى فى رسول الله ﷺ إن الكمال المطلق لله سبحانه وتعالى، والعصمة لأنبيائه ورسله، والحفظ لأوليائه وأهل طاعته، أما سائر البشر فليس لهم كمال الله ولا عصمة أنبيائه ولا حفظ أوليائه، ولكن فتح الله لهم باب التوبة، فإذا صدر الذنب وجب الإسراع فى التوبة والإنابة إلى الله تعالى، ولا يتمادى العبد فى ذنوبه ولا يستعظم ذنبه على الله سبحانه.

ويقول العلماء إن التوبة واجبة من كل ذنب فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط أولها أن يقلع عن المعصية وثانيها أن يندم على فعلها وثالثها أن يعزم على أن لا يعود إليها أبدا، فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته وإن كانت المعصية تتعلق بإنسان فيزيد على ما سبق شرط أ.لا وهو أن يبرأ من حق صاحبها، فإن كان ما.لا أو نحوه رده إليه، وإن كان حد قذف ونحوه مكنه منه، وإن كانت غيبة استحله منها.

وعن سيدنا عبد الله بن العباس رضى الله عنهما قال: إن وحشيا –وهو ذلك الرجل الذى قتل سيدنا الحمزة عم الرسول ﷺ– كتب إلى رسول الله ﷺ من مكة وأخبره أنه يريد أن يدخل فى الإسلام ولكن يمنعه عن الإسلام آية من القرآن وهى قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾[١٤] وإنى قد فعلت هذه الأشياء الثلاثة فهل لى من توبة فنزل

---

[١٢] التحريم ٨

[١٣] صحيح مسلم ومسند أحمد ومسند البزار وسنن البيهقى الكبرى

[١٤] الفرقان ٦٨

قوله تعالى ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾[١٥] فكتب بذلك إلى وحشى فكتب وحشى إلى سيدنا رسول الله ﷺ يخبره بأن فى هذه الآية شرطا وهو العمل الصالح ولا أدرى هل أستطيع أن أفعله أم لا؟ فنزل قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء﴾[١٦] فكتب بذلك إلى وحشى فكتب إلى سيدنا رسول الله ﷺ إن فى هذه الآية شرطا فلا أدرى أيشاء الله أن يغفر لى أم لا؟ فنزل قوله تعالى ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا. تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[١٧] فكتب إلى وحشى بذلك فجاء إلى المدينة وأسلم على يد سيدنا رسول الله ﷺ.

وعن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبى ﷺ لما بعثه إلى اليمن مشى أكثر من ميل يوصيه قائلا صلوات ربى وسلامه عليه ﴿يا معاذ أوصيك بتقوى الله العظيم وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، وحفظ الجار، وخفض الجناح، ولين الكلام، ورحمة اليتيم، والتفقه فى القرآن –وفى لفظ فى الدين– والجزع من الحساب، وحب الآخرة، يا معاذ لا تفسدن أرضا، ولا تشتم مسلما، ولا تصدق كاذبا، ولا تكذب صادقا، ولا تعص إماما عادلا، يا معاذ أوصيك بذكر الله عند كل حجر وشجر، وأن تحدث لكل ذنب توبة، السر بالسر والعلانية بالعلانية، يا معاذ إنى أحب لك ما أحب لنفسى وأكره لك ما أكره لها﴾[١٨].

ومما يروى أنه كان فى بنى إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين نفسا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدلوه على راهب، فأتاه فقال له أنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة؟ فقال لا، فقتله فأكمل به مائة نفس، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدلوه على رجل عالم، فقال أنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال نعم، انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فأدركه الموت، فناء بصدره نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة ربنا إنه جاء تائبا بقلبه إليك، وقالت ملائكة العذاب أنه لم يعمل خيرا قط، فأوحى الله إلى أرض الخير أن تقربى وإلى أرضه التى هو فيها أن تباعدى وقال قيسوا ما بينهما فوجد هذا العبد إلى أرض الخير أقرب بشبر، فغفر له﴾[١٩].

ويقول حبيبنا المصطفى ﷺ ﴿إذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله وليس عليه شاهد من الله بذنب﴾[٢٠].

---

[١٥] الفرقان ٧٠

[١٦] النساء ٤٨

[١٧] الزمر ٥٣

[١٨] انظر الزهد للإمام أحمد والزهد الكبير للبيهقى وكنز العمال

[١٩] انظر البخارى فى صحيحه

[٢٠] جمع الجوامع وكنز العمال

أخوة الإيمان .. ورد فى الأثر أن فى بنى إسرائيل ملك وصفوا له رجل من العُباد، فدعاه وطلب منه أن يصاحبه ويلزم بابه، فقال له العابد: أيها الملك حسنا ما تقول ولكن لو دخلت يوما فى بيتك فوجدتنى ألعب مع جاريتك ما كنت تفعل؟ فغضب الملك وقال: يا فاجر أتجترئ علىّ بمثل هذا؟ فقال له العابد: إن لى ربا كريما لو رأى منى سبعين ذنبا فى اليوم ما غضب علىّ ولا طردنى عن بابه، ولا حرمنى رزقه، فكيف أفارق بابه وألزم باب من يغضب علىّ قبل أن أعصيه، فكيف لو رأيتنى فى المعصية، ثم خرج من عنده.

وعن رحمة ربنا بعباده وكيف يبسط يده للمذنبين، يخبرنا سيدنا أبى هريرة ﷺ عن الحبيب المصطفى ﷺ فيما يحكيه عن رب العزة فيقول ﴿أذنب عبدا ذنبا فقال اللهم اغفر لى ذنبى، فقال تبارك وتعالى أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنوب ويأخذ به، ثم عاد فأذنب فقال أى ربى اغفر لى ذنبى، فقال تبارك وتعالى أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب اعمل ما شئت فقد غفرت لك﴾[٢١].

ولنعلم قدر يسير من رحمة الله بنا، فيحدثنا أيضا سيدنا أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال ﴿إن رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما فقال الرب عز وجل أخرجهما، فلما خرجا قال لهما لأى شئ اشتد صياحكما؟ قالا: فعلنا ذلك لترحمنا، قال عز وجل: إن رحمتى لكما أن تنطلقا فتلقيا بأنفسكما حيث كنتما من النار، فينطلقا أحدهما فيلقى نفسه فيجعلها عليه بردا وسلاما، ويقوم الأخر فلا يلقى نفسه، فيقول له الرب عز وجل ما منعك أن تلقى نفسك كما ألقى صاحبك؟ فيقول إنى لأرجو أن لا تعيدنى فيها بعد إذ أخرجتنى منها، فيقول الرب لك رجاؤك، فيدخلان معا الجنة برحمة الله﴾[٢٢].

أخوة الإسلام .. فالواجب على كل مسلم أن يتوب إلى الله تعالى حين يصبح وحين يمسى وقد قال سيدنا مجاهد ﷺ (من لم يتب إذا أمسى وإذا أصبح فهو من الظالمين) وينبغى على العبد أن يتوب إلى الله تعالى فى كل وقت ويجتهد فى حفظ الصلوات الخمس فإن الله تعالى جعل الصلوات الخمس تطهيرا لذنوب العباد فيما دون الكبائر، فعن سيدنا أبى هريرة ﷺ قال سمعت سيدنا رسول الله ﷺ يقول ﴿والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة﴾[٢٣] وروى عن سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن حضرة النبى ﷺ أنه قال ﴿مكتوب حول العرش قبل أن يخلق الخلق بأربعة آلاف عام وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى﴾.

أو كما قال التائب حبيب الرحمن

الحمد لله القديم الباقى الحميد المجيد واسع المغفرة، أحمده حمد الحامدين وأشكره شكر الطالبين الراغبين فى رحمته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه الصادق الوعد الأمين، اللهم صل وسلم وبارك على الذات المحمدية اللطيفة

---

[٢١] صحيح مسلم ومسند أحمد وابن حبان

[٢٢] سنن الترمذى

[٢٣] البخارى والنسائى ومسند أحمد

الأحدية، شمس سماء الأسرار ومظهر الأنوار، ومركز مدار الجلال وقطب فلك الجمال، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آل بيته وأصحابه وأزواجه أمهات المؤمنين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فيا أحباب رسول الله ﷺ

يقول الحق سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾[٢٤] ويقول سيدنا رسول الله ﷺ ﴿لله أفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها وقد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح﴾[٢٥] ويقول سيدنا أبى هريرة ﷺ: خرجت ذات ليلة بعدما صليت العشاء مع سيدنا رسول الله ﷺ فإذا أنا بامرأة قائمة على الطريق قالت: يا أبا هريرة إنى قد ارتكبت ذنبا عظيما فهل لى من توبة؟ فقلت: وما ذنبك؟ قالت: إنى زنيت وقتلت ولدى فى الزنا، فقلت لها: هلكتِ وأهلكتِ والله ما لك من توبة، قال: فشهقت شهقة وخرجت مغشيا عليها، ومضيت وقلت فى نفسى أفتى وسيدنا رسول الله ﷺ بين أظهرنا، فلما أصبحت غدوت إلى سيدنا رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إن امرأة استفتتنى فى كذا وكذا وإنى أفتيتها بكذا وكذا، فقال سيدنا رسول الله ﷺ: إنا لله وإنا إليه راجعون أنت والله يا أبا هريرة هلكتْ وأهلكتْ أين كنت يا أبا هريرة عن هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۞ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۞ إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[٢٦] قال سيدنا أبو هريرة فخرجت أبحث عن هذه المرأة فى طرقات المدينة وأقول من يدلنى على امرأة استفتتنى البارحة، والصبيان يقولون جن أبو هريرة حتى إذا كان الليل قابلتها فى ذلك الموطن فأعلمتها بقول سيدنا رسول الله ﷺ أن لها التوبة ففرحت فرحا شديدا وقالت إن لى حديقة وهى صدقه للمساكين كفارة لذنبى.

أخوة الإيمان .. يقول سيدنا رسول الله ﷺ ﴿إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر﴾[٢٧] وعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال ﴿يضحك الله سبحانه وتعالى إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر ويدخلان الجنة، قالوا كيف يا رسول الله ﷺ؟ فقال ﷺ: يقاتل هذا فى سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيسلم فيستشهد﴾[٢٨] وصدق من قال:

عفا الله عمن قارف الذنب جاهلا فلما استبان النور عاد بتوبة

---

[٢٤] الفرقان ٧٠

[٢٥] صحيح مسلم ومسند البزار وكنز العمال

[٢٦] الفرقان ٦٨ : ٧٠

[٢٧] سنن ابن ماجه والترمذى

[٢٨] صحيح البخارى وابن حبان

اللهم تب علينا لنتوب واغفر لنا الذنوب واستر لنا العيوب واجمعنا بحبيبك المحبوب ﷺ اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم وارحم الأموات إنك يا مولانا سميع قريب مجيب الدعوات يارب العالمين، اللهم لا تجعل لهذا الجمع ذنبا إلا غفرته ولا عيبا إلا سترته ولا مريضا إلا شفيته ولا دينا إلا أديته بكرمك وجودك وفضلك يا أكرم الأكرمين.

عباد الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ اذكروا الله العظيم يذكركم واستغفروه يغفر لكم وصلوا على حبيبكم يشفع لكم وأقم الصلاة.

الاطمئنان فى الصلاة

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل الصلاة على عباده فرضاً، وارتضاها إليه زلفى، وكانت يوم القيامة أعظم أجرا وفضل صلاة الجماعة على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وشفيعنا، وقرة أعيننا وملاذنا، محمدا عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، أدى الأمانة وبلغ الرسالة، ونصح الأمة وكشف الغمة، ومحا الله به الظلمة، وجاهد فى الله حتى أتاه اليقين، فاللهم جازه عنا خير ما جازيت به نبياً عن أمته ورسولاً عن قومه، وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فيا أحباب رسول الله ﷺ

يقول الحق سبحانه وتعالى فى محكم التنزيل ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[٢٩] أخوة الإيمان، نطرق اليوم باب آفتين خطيرتين تنتشران بين جموع المسلمين، ألا وهما:

- الإسراع فى الصلاة وعدم أدائها بخشوع.
- وترك صلاة الجماعة.

وقبل أن نشرع فى شرح هاتين الآفتين وجب أن نذكر أحوال الصلاة حيث أن للصلاة ثلاثة أحوال:

إن النبى ﷺ قدم المدينة، وهو يصلى سبعة عشر شهرا إلى بيت المقدس، حتى أنزل الله عز وجل عليه {قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها}[٣٠] فتوجه صلوات ربى وسلامه عليه إلى البيت الحرام، فهذا هو الحال الأول.

وكانوا يجتمعون للصلاة ويبلغون بعضهم بعضا لأنه آنذاك لم يشرع الآذان، حتى جاء الصحابى الجليل سيدنا عبد الله بن زيد إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنى رأيت فيما يرى النائم ولو قلت: إنى لم أكن نائما لصدقت، بينا أنا بين النائم واليقظان إذ رأيت شخصا عليه ثوبان أخضران فاستقبل القبلة، فقال: الله أكبر الله أكبر .. أشهد أن لا إله إلا الله .. حتى انتهى من الآذان، ثم بعد فترة قال مثل الذى قال غير أنه يزيد (قد قامت الصلاة مرتين) فقال صلوات ربى وسلامه عليه ﴿علمها بلالا فليؤذن بها﴾[٣١] فكان سيدنا بلال أول من أذن بها، وفى رواية (فإنه أندى منك صوتا).

ثم جاء سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: يا رسول الله إنه قد طاف بى مثل الذى طاف به، غير أنه سبقنى، فهذا هو الحال الثانى.

---

[٢٩] الماعون ٤ ، ٥

[٣٠] البقرة ١٤٤

[٣١] شرح سنن الترمذى

ولنا هنا وقفة، الذى رأى الرؤيا سيدنا عبد الله بن زيد وهو من حقه أن يؤذن ولكن انظروا إلى قول سيدنا رسول الله ﷺ إنه أندى منك صوتا، أى أن الأذان ليس ألفاظا فقط ولكن حلاوة فى الصوت، فنجد البعض يؤذنون بصوت أجش ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكانوا يتكلمون فى الصلاة فيأتى أحدهم إلى الصلاة وقد سبقهم النبى ﷺ ببعضها، فكان الرجل يشير إلى الرجل كم صلى؟ فيرد عليه قائلا: صلى واحدة أو اثنتين، فيصليهما ثم يدخل فى صلاة الجماعة.

فجاء سيدنا معاذ وقد سبقه النبى ﷺ ببعضها، فثبت معه، فلما قضى رسول الله ﷺ قام فقضى، فقال رسول الله ﷺ ﴿إنه قد سن لكم معاذ، فهكذا فاصنعوا﴾ وهنا تم تشريع القضاء فى الصلاة، ونزل قوله سبحانه ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٣٢] فحرم الكلام فى الصلاة وكان هذا هو الحال الثالث والذى نحن عليه الآن.

ونعود معكم إلى موضوع الخطبة .. أما الإسراع فى الصلاة وأداؤها بغير خشوع فعقابها شديد، فقد ورد فى تفسير قوله تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ الذين ينقرون فى صلاتهم فيسرعون فيها ولا يتموا ركوعها ولا سجودها، فلهم الويل، وويل واد فى جهنم تستغيث جهنم منه من شدة حره، أعاذنا الله منه أجمعين، وعن سيدنا أبى هريرة ﷺ أن رجلا دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد فصلى ثم جاء فسلم عليه فقال له رسول الله ﷺ وعليك السلام، ارجع فصل فإنك لم تصل، فرجع فصلى ثم جاء فسلم، فقال وعليك السلام، ارجع فصل فإنك لم تصل، فقال فى الثانية أو فى التى بعدها علمنى يا رسول الله، فقال: إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر ثم اقرأ بما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تستوى قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها.[٣٣]

ولقد قال ﷺ ﴿لا تجزئ صلاة لا يقيم الرجل صلبه فى الركوع والسجود﴾[٣٤] وعدَّ المصطفى ﷺ من لا يتم صلاته من أشد الناس سرقة، فى قوله ﷺ ﴿أسوأ الناس سرقة الذى يسرق فى صلاته، قالوا يا رسول الله كيف يسرق صلاته؟ قال لا يتم ركوعها ولا سجودها﴾[٣٥] فالاستقرار والطمأنينة والخشوع عند أداء كل ركن من أركان الصلاة شرط قبولها.

وتعالوا بنا نتحدث عن الإطمئنان لأن الاطمئنان يفهمه كثير من الناس فهم خاطئ، فمن الناس يطيل الصلاة لكى يطمئن فيها فيدخل تحت طائلة الحديث الشريف عن أبى مسعود الأنصارى قال: قال رجل يا رسول الله

---

[٣٢] الأعراف ٢٠٤

[٣٣] أخرجه أبو داود

[٣٤] سنن ابن ماجه

[٣٥] الحاكم فى المستدرك وصحيح ابن حبان

لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان، فما رأيت النبى ﷺ فى موعظة أشد غضبا من يومئذ فقال ﴿أيها الناس إنكم منفرون فمن صلى بالناس فليخفف فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة﴾[٣٦].

وقد قال صلوات ربى وسلامه عليه فيما ذكره الحافظ أبو بكر بن مردويه فى تفسيره عن محجن بن الأدرع ﴿أن رسول الله ﷺ رأى رجلا يصلى فتراءاه ببصره ساعة، فقال: أتراه يصلى صادقا؟ قال: قلت: يا رسول الله، هذا أكثر أهل المدينة صلاة، فقال رسول الله ﷺ: لا تسمعه فتهلكه، وقال: إن الله إنما أراد بهذه الأمة اليسر، ولم يرد بهم العسر﴾[٣٧].

أيها الأحباب .. لقد أشار حضرة الحبيب صلوات ربى وسلامه عليه هنا، أن الإطالة فى الصلاة عسر وليست يسر، فالاطمئنان الذى أجمع عليه جمهور الفقهاء هو اعتدال الأعضاء، واعتدال الأعضاء هو ارتياح كل عضو فى مكانه وهو قدر تسبيحة واحدة، ومن السنة أن نسبح فى الركوع والسجود ثلاثا وليست واحدة.

فبداية يقرأ المصلى الفاتحة ومعها ما تيسر من القرآن، على أن ما تيسر هو قراءة أقصر سورة من كتاب الله وعددها ثلاث آيات أو ما يعادلها، وقيل أن أكثر ما يعادلها من كتاب الله ثلاث آيات سورة المدثر ﴿ثُمَّ نَظَرَ ۝ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾ وقال البعض الآخر يجوز الصلاة بأقصر آية فى كتاب الله وهى ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ من سورة الرحمن.

ثم يهوى المصلى راكعا ويكفيه اطمئنان أعضائه عند استقرار وضع الكفين على الركبتين، أى مجرد وضع اليدين على الركبتين فقط اطمأنت أعضائه راكعا، ثم يرفع قائما، ثم يهوى ساجدا.

فالاطمئنان ليس اطالة الوقوف والركوع والسجود كما يفهمه البعض، أرأيتم أخوة الإيمان كيف تكون الصلاة؟ وكيف أن الصلاة الناقصة لا تعتبر صلاة.

وقال ﷺ ﴿أمرت أن أسجد على سبعة أعظم﴾ الجبهة واليدين والركبتين وأطراف القدمين، وقال الفقهاء يشترط أن يكون السجود على بطون الكفين وبطون أصابع القدمين.

وعن سيدنا عباده بن الصامت رضي الله عنه أن المصطفى ﷺ قال: إذا توضأ أحدكم فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة، فأتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها، قالت الصلاة حفظك الله كما حفظتنى، ثم أصعد بها إلى السماء ولها ضوءً ونور وفتحت لها أبواب السماء، وإذا لم يحسن العبد الوضوء ولم يتم الركوع والسجود والقراءة، قالت ضيعك الله كما ضيعتنى، ثم أصعد بها إلى السماء وعليها ظلمة، وغلقت دونها أبواب السماء، ثم تُلف كما يلف الثوب الخلق، ثم يُضرب بها وجه صاحبها.

---

[٣٦] أخرجه البخارى فى صحيحه

[٣٧] ذكره صاحب الدر المنثور فى تفسيره والإمام أحمد فى مسنده من طريق حماد عن الجريرى وفتح البارى لابن رجب

فالصلاة أخوة الإسلام أمانة فى عنق كل مسلم ومسلمة، وهى كنز ونجاة لمن أراد النجاة، فعن سيدنا سلمان الفارسى ﷺ أن المصطفى ﷺ قال: الصلاة مكيال، فمن وفى وفىّ له ومن طفف فقد أقمتم ما قال الله فى المطففين ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾[38] والمطفف هو المنقص للكيل أو الوزن أو الصلاة.

وعن سيدنا عبد الله بن العباس رضى الله عنهما أن المصطفى ﷺ قال ﴿إذا سجد أحدكم فليضع وجهه وأنفه ويديه على الأرض، فإن الله تعالى أوحى إلىّ أن أسجد على سبعة أعضاء، الجبهة والأنف والكفين والركبتين وصدور القدمين، وأن لا أكف شعراً ولا ثوباً، فمن صلى ولم يعط كل عضو منها حقه، لعنه ذلك العضو حتى يفرغ من صلاته﴾ فذلك جزاء من صلى صلاة لم يعطها حقها فكيف بمن ترك الصلاة كلية.[39]

أخوة الإيمان يقول الحق سبحانه ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ ۞ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾[40] قال سيدنا كعب الأحبار ﷺ والله ما نزلت هذه الآية إلا فى الذين تخلفوا عن صلاة الجماعة.

وقيل لئن تمتلئ أذن ابن آدم رصاصاً مذاباً خيراً له من أن يسمع النداء ولا يجيب، فما أشد الألم حين يوضع الرصاص ساخنا لدرجة الانصهار فى أذن ابن آدم، فإن عذاب ترك الصلاة أشد.

وعن سيدنا عبد الله بن العباس رضى الله عنهما أن المصطفى ﷺ قال ﴿من سمع المنادى فلم يمنعه من اتباعه عذر لم تقبل منه تلك الصلاة التى صلاها، قالوا ما عذره؟ قال خوف أو مرض﴾[41].

وكان أحد الصالحين مريضاً شديد المرض، وكان يخرج إلى الصلاة يتوكأ على رجلين، فقيل له: يا أبا محمد، قد رخص لك أن تصلى فى بيتك، قال هو كما تقولون، لكنى أسمع المؤذن يقول حى على الصلاة حى على الفلاح، فمن استطاع أن يجيبه فليجبه ولو زحفاً أو حبواً.

وقال أحد الصالحين: فاتتنى مرة صلاة الجماعة فعزانى البخارى وحده، ولو مات لى ولد لعزانى أكثر من عشرة آلاف إنسان، لأن مصيبة الدين عند الناس أهون من مصيبة الدنيا.

وعنه قال التائب من الذنب كمن لا ذنب له .. والتائب حبيب الرحمن

الحمد لله .. نحمده سبحانه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن سيدنا محمدا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فيا أحباب رسول الله ﷺ

---

[38] المطففين ١

[39] انظر سنن النسائى وصحيح الترمذى

[40] القلم ٤٢ ، ٤٣

[41] سنن البيهقى الصغرى

يقول سيدنا أبى هريرة ﷺ أن المصطفى ﷺ قال ﴿من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له نزلا فى الجنة كلما غدا أو راح﴾[٤٢] وقال ﷺ ﴿من تطهر فى بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضى فريضة من فرائض الله، كانت خطواته إحداها تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة﴾[٤٣].

وعن سيدى أبى موسى الأشعرى ﷺ أن المصطفى ﷺ قال ﴿إن أعظم الناس أجرا فى الصلاة أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم، والذى ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام فى جماعة أعظم أجرا من الذى يصليها ثم ينام﴾[٤٤].

وعن سيدنا نافع بن عمر رضى الله عنهما أن المصطفى ﷺ قال ﴿صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة﴾[٤٥].

فعليكم بالصلاة وخاصة صلاة الجماعة إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية .. أخوة الإيمان .. ما من يوم جمعة إلا وفيه ساعة إجابة، فادعوا الله معى عسى أن تكون هذه الساعة ساعة إجابة، اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم لا تحرمنا من صلاة الجماعة ولا ذكرك فى كل ساعة، ولا حلاوة الطاعة، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم وارحم الأموات إنك يا مولانا سميع قريب مجيب الدعوات يارب العالمين.

عباد الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ اذكروا الله العظيم يذكركم واستغفروه يغفر لكم وصلوا على حبيبكم يشفع لكم وأقم الصلاة.

---

[٤٢] صحيح ابن حبان

[٤٣] كنز العمال عن سيدنا أبى هريرة

[٤٤] مسند أبى يعلى

[٤٥] سنن البيهقى الكبرى

فى الإنفاق على الأهل

الحمد لله الملك الحق المبين، المنفرد بالعظمة والكبرياء، الذى لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا يضاد فى حكمه ولا ينازع فى أمره وسلطانه وملكه، ولا يشارك فى ربوبيته ولا يزاحم فى خليقته، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه، أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة وكشف الغمة ومحا به الظلمة وجاهد فى سبيل الله حتى أتاه اليقين، فاللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وأصحابه الطيبين الطاهرين وأزواجه أمهات المؤمنين ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد.. فيا أحباب رسول الله ﷺ

يقول الحق سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾[٤٦].

أخوة الإيمان .. إن الله عز وجل كثيرا ما تحدث عن الإنفاق فى سبيله عن طريق الزكاة أو الصدقة، وورد ذلك فى أكثر من موضع فى كتابه الكريم وفى الأحاديث القدسية، وعن جزاء الصدقات يقول سبحانه ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء﴾[٤٧] ويقول رسول الله ﷺ ﴿إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهى له صدقة﴾[٤٨] أى أن ما ينفقه الرجل فى بيته على الطعام والكسوة والتوسع على أهل بيته يجازى عليه كما يجازى على الصدقة، ولكن شرطا تقديم النية باحتسابها نفقة.

إخوة الإيمان إن تقديم النية قبل أعمالنا يكسب الإنسان الكثير من الحسنات ويقول رسول الله ﷺ ﴿من احتبس فرسا فى سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا بوعده كان شبعه وريه وروثه وبوله حسنات فى ميزانه يوم القيامة﴾[٤٩] فلماذا جعل الله هذا الفضل لمجرد استحضار النية، لأن النية محلها القلب والقلب دائم التقلب ولا يستطيع أن يوظف قلبه فى استحضار النية إلا الخاشعون، يقول النبى ﷺ ﴿نية المؤمن خير من عمله ونية الفاجر شر من عمله﴾[٥٠] فانظر إلى اثنين وقفا متجاورين فى الصلاة أحدهما وظف قلبه فى الإيمان والآخر لم يستطع، فهل الأول فى الأجر كالثانى وهل صلاة الأول تنهاه عن المنكر كصلاة الثانى؟ بالطبع لا.، ويقول رسول الله ﷺ ﴿أربعون خصلة أعلاهن منيحة العنز –أى نحر الذبائح فى سبيل الله– ما يعمل

---

[٤٦] البقرة ٢٧٢

[٤٧] البقرة ٢٦١

[٤٨] صحيح البخارى وسنن النسائى

[٤٩] انظر سنن النسائى والبيهقى

[٥٠] جمع الجوامع للسيوطى

رجل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة﴾[٥١] لأن توطين القلب مجاهدة وصدق تعالى حيث قال ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٥٢].

أخوة الإيمان فالنفقة على الأهل ضرورة لقوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾[٥٣] فأول من ذكرهم الله هم الوالدين وأتبعهما بالأقربين ويقول رسول الله ﷺ ﴿يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى﴾[٥٤] فقد ذكر النبى ﷺ أن البداية تكون بمن يعول أى بمن يعيش فى كنفه لأن الرجل إذا أنفق على أهل بيته وكفاهم حاجتهم من المأكل والملبس والمشرب وكان فيهم عفاف، فإنهم لن يطلبوا ما فى يد الآخرين فلن يسرقوا ولن يسألوا الناس.

فقد ورد عن سيدنا سعد بن أبى وقاص ﷺ قال جاءنى رسول الله ﷺ يعودنى عام حجة الوداع من وجع اشتد بى فقلت: يا رسول الله إنى قد بلغ منى الوجع ما ترى وأنا ذو مال ولا يرثنى إلا ابنة لى أفأتصدق بثلثى مالى؟ قال: لا، قلت: فالشطر يا رسول الله؟ فقال: لا، قلت فالثلث يا رسول الله؟ فقال: الثلث والثلث كثير، إنّك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس وانك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل فى فم امرأتك.[٥٥]

ولكن إذا توفر الإيثار التام من الرجل وأهله يمكن إخراج الصدقة، ألم تر سيدنا على وزوجته السيدة فاطمة لم يكن فى بيتهما غير قطعة خبز وكانا صائمين وعندما حان وقت الإفطار جاءهما طارق يقول أنه مسكين محتاج لكسرة خبز فآثراه بها، ونفس الحال فى اليوم التالى صائمان وجاءهما يتيم محتاج لكسرة خبز فآثراه بها وفى اليوم الثالث الصائمان اللذان لا يوجد أمامهما غير قطعة خبز آثرا الأسير بها على نفسهما وكان المسكين فى اليوم الأول هو يتيم اليوم الثانى بل هو نفسه أسير اليوم الثالث وهو جبريل عليه السلام فاستحقوا رضا الله وأن يمدحهم فى كتابه الكريم بقوله سبحانه ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۞ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُورًا ۞ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۞ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۞ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[٥٦] أيها الأحباب .. إذا ما توافر للرجل مال فأول باب للإنفاق فيه هو الإنفاق على

---

[٥١] سنن أبى داود

[٥٢] العنكبوت ٦٩

[٥٣] البقرة ٢١٥

[٥٤] السنن الكبرى للبيهقى

[٥٥] انظر صحيح البخارى وابن حبان

[٥٦] الإنسان ٦: ١٢

الأهل، فعن سيدنا أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال ﴿دينار أنفقته فى سبيل الله ودينار فى رقبة[٥٧] ودينار تصدقت به إلى مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجراً الذى أنفقته على أهلك﴾[٥٨].

وعن سيدنا ثوبان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال ﴿أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله ودينار ينفقه على دابته فى سبيل الله ودينار ينفقه على أصحابه فى سبيل الله﴾[٥٩] فأول ما ذكره ﷺ ما ينفق الرجل على أهل بيته ثم ما ينفقه فى سبيل الله فى الجهاد عن طريق إعداد الخيل للجهاد، وقد ذكرنا أن من يفعل ذلك فى سبيل الله فله بما يطعم به الفرس وما يسقيه وكذلك بول الفرس وروثه كل ذلك حسنات فى ميزانه.

وعلى الجانب الآخر عَنف الرسول ﷺ من لا ينفق على أهله ولا يقضى حاجاتهم فقد قال ﷺ ﴿كفى بالمرء إثماً أنّ يحبس عمن يملك قوته﴾[٦٠].

أو كما قال التائب من الذنب كمن لا ذنب له التائب حبيب الله

الحمد لله عدد خلقه وزنة عرشه وملئ علمه ومداد كلماته وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ورضى الله تبارك وتعالى عن التابعين وتابعى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .. فيا أحباب رسول الله ﷺ

إذا أنفق الرجل على أهل بيته وكفاهم حاجتهم هل يغنيه ذلك عن إخراج الصدقات؟ وإذا أماط الأذى عن الطريق لعلمه أنّ إماطة الأذى عن الطريق صدقة، وإذا تبسم فى وجه إخوانه لعلمه أنّ التبسم فى وجه أخيه صدقة هل يغنيه كل ذلك عن إخراج الصدقات؟ بالطبع لا، لأن كل ما ذكرنا هو بيان فضل تلك الأعمال وليس يغنى عن الأصل وقد ذكرنا فى الحديث ﴿ابدأ بمن تعول﴾ أى أن هذه هى البداية، وقد ذكر النبى ﷺ كيف يكون التصرف فى المال فعن سيدنا أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال ﴿بينما رجل يمشى بفلاة من الأرض فسمع صوتا فى سحابة اسقى حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه فى جرة، فتتبع الماء فإذا رجل قائم فى حديقة يحول الماء بمسحاته (أى معولة) فقال له يا عبد الله ما اسمك؟ فقال فلان للاسم الذى سمع فى السحاب، فقال له عبد الله لم تسألنى عن اسمى؟ فقال إنى سمعت صوتا فى السحاب الذى هذا ماؤه اسقِ حديقة فلان لاسمك، فما تصنع فيه؟ قال إننى أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلث وآكل أنا وعيالى ثلثا وأرد فيه ثلثا﴾[٦١] فيجب على المسلم أن يكفى أهله وأن يتصدق على الفقراء ولا يبخل على الله بنفقة فإنه من يقرض الله قرضا حسنا يضاعفه له، وله أجر كبير.

---

[٥٧] أى تحرير رقبة

[٥٨] صحيح مسلم ومسند أحمد

[٥٩] سنن البيهى وابن ماجه

[٦٠] سنن البيهقى الصغرى

[٦١] رياض الصالحين باب النهى عن البخل

أيها الأحباب .. ما من يوم جمعة إلا وفيه ساعة إجابة فادعوا الله عسى أن تكون هذه الساعة، اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم اغفر ذنوبنا واستر عيوبنا واحفظ عوراتنا وآمن روعاتنا، اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التى إليها مردنا، اللهم ارزقنا حب الطاعات وترك المنكرات واقبضنا إليك غير مفتونين.

عباد الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ اذكروا الله العظيم يذكركم واستغفروه يغفر لكم وصلوا على حبيبكم يشفع لكم وأقم الصلاة.